

# منبر المحراب

## حكمة الحج وأسراره «لن يطفئوا نور محمد»

السنة العشرون  
العدد ١٠١٢ - ٢٩ / ذو القعدة / ١٤٣٣ هـ  
الموافق ١٦ / تشرين الأول / ٢٠١٢ م

### مباحث الموضوع الرئيسية:

- ١- تبين معنى «ليشهدوا منافع لهم»
- ٢- تبين فلسفة الحج وبعض أسرارها
- ٣- التنبيه من الاقتصار على الحج الظاهري

### الهدف:

تبين أهمية الحج وبعض أسرارها  
تصدير الموضوع:

﴿وَرَأَىٰ نَوَافِلَ لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرَكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتَ الْمَلَأَيْنِ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكْعَ السُّجُودَ \* وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ النَّفِيرِ﴾

سورة الحج

### تمهيد

«رجال» جمع «رجل» أي «ماشي».

«الضامر» تعني الحيوان الضعيف.

و «الفج» في الأصل تعني المسافة بين جبلين، ثم أطلقت على الطرق الواسعة و «العميق» تعني هنا «البعيد».

تناولت الآية «ليشهدوا منافع لهم» فلسفة الحج في عبارة موجزة. وقد ذكر المفسرون لكلمة المنافع الواردة في الآية عدة معان، فهي تشمل جميع المنافع والبركات المعنوية والمكاسب المادية، وكل عائد فردي واجتماعي وسياسي واقتصادي وأخلاقي. وعلى هذا ورد في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الرد على استفسار ربيع بن خيثم عن كلمة المنافع...: «منافع الدنيا أو منافع الآخرة؟ فقال (عليه السلام): «الكل»<sup>(١)</sup>.

### فلسفة الحج وأسراره العميقة

إنَّ لشعائر الحج بركات كثيرة جداً في نفسية الفرد والمجتمع الإسلامي. ويمكننا أن نُحدث في الفرد والمجتمع الإسلامي تغييراً مُهمّاً، وتمتاز هذه المناسك بأربعة أبعاد مهمة:

#### ١ - البعد الروحي والأخلاقي للحج:

أهم جانب في فلسفة الحج التغيّر الروحي والأخلاقي نحو الأحسن الذي يحصل عند الناس، فمراسم الإحرام تُبعد الإنسان بشكل تام عن الأمور المادية والامتيازات الظاهرية والألبسة الفاخرة، ومع تحريم الملذات، وبناء الذات وأن يبتعد الفرد عن عالم المادة، ويدخل إلى عالم النور والصفاء والتسامي الروحي.

ثم تلي عملية الإحرام مراسم الحج الأخرى تباعاً، وفيها تتوطد علاقة الإنسان الروحية مع خالقه - لحظة بعد أخرى - وتتوثق. فينقطع عن ماضيه الأسود المملوء آثاماً وذنباً، ويتصل بمستقبل واضح كله نور وصفاء. خاصة أن مراسم الحج تثير في الإنسان اهتماماً كبيراً - في كل خطوة يخطوها - بإبراهيم (عليه السلام) مُحطّم الأصنام، وإسماعيل (عليه السلام) ذبيح الله. وأمه هاجر (عليها السلام). ويتجلى للحجاج جهادهم وتضحياتهم.

إضافة إلى كون أرض مكة عامة، والمسجد الحرام وبيت الكعبة ومحل الطواف حولها خاصة، تذكّر الحاج بالرسول (صلى الله عليه وآله) والإسلام العظام وجهاد المسلمين في صدر الإسلام، فيتعمق أثر هذه الثورة الأخلاقية في الرواية عن أبي عبد الله (عليه السلام) في تحديد بعض فلسفات الحج وأسراره: «... ولتعرف آثار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتعرف أخباره وينذكر ولا ينسى...»<sup>(٢)</sup>

حيث كل معلم في الحج وكل منسك يذكر برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجهاده وآله وأصحابه.

### ليبقى ذكر محمد والاقتداء به

وما أحوجنا اليوم الى تذكّر رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) حبيب الله وصفيه والى تذكّر جهاده في سبيل الله تعالى وفي سبيل الناس جميعاً، فهو الرحمة المهداة للعالمين جميعاً «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين»

ما أحوجنا الى تذكّر خُلُقهِ العظيم وصبره وزهده ومحبته ورقته وحنانه ورأفته: «وانك لعلی خلق عظيم». رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) الذي يُحاول اليوم تشويه صورته واطفاء نوره بعد أن رأى الاعداء إقبلاً كثيراً من الناس الغربيين على الاسلام، أرادوا تشويه صورته البهية-ليُبعدوا الناس عن نور الاسلام ونبيه- وهذا مخطط قديم وليس بجديد.

ففي كلام لأحد رجالات إنجلترا المعروفين - «كلودستون» الذي يُعتبر من السياسيين المثوقين في عصره - قال أمام جمع من المسيحيين: ما دام اسم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) يُرفع على المآذن، وما دامت الكعبة باقية وما دام القرآن يهدي ويوجه المسلمين، فلا يمكن أن ترسخ قواعد سياسة الإنجليز في الأراضي الإسلامية. سيبقى ذكر محمد (صلى الله عليه وآله) على ألسنتنا، وسيبقى نوره في قلوبنا، وستبقى أخلاقه في أخلاقنا، وسيبقى اسم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) مرفوعاً على المآذن «أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله».

نقول للكائدين للاسلام ونبيه كما قالت السيدة زينب (عليها السلام) ليزيد: «فكك كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لن تمحو ذكرنا ولن تمتيت وحبنا وما ربيك إلا هند وأيامك إلا عدد...» ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَهُ الْآنَ بِئِمَّةٍ تُوْرُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

#### ٢- البعد السياسي للحج

يقول الإمام الخميني (رحمته الله): «إن إحدى أكبر فلسفات الحج هي البعد السياسي

(١) تفسير نور الثقلين، المجلد الثالث، الصفحة ٤٨٨ نقلاً عن كتاب الكافي.

(٢) الوسائل ج ١ ص ١٤١



## إليه يصعد الكلم الطيب

وقضى فليشتر وليب في الموسم<sup>(١)</sup>.

فالحج باختصار عبادة عظيمة لو استُفيد منه بشكل صحيح لغير من أحوال العالم الإسلامي على الصعيد الفردي والاجتماعي والاخلاقي والثقافي والاقتصادي والسياسي، وقد يكون هو المراد من حديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»<sup>(٢)</sup>.

كما قال الإمام علي عليه السلام «الله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا»<sup>(٣)</sup>.

ولأهمية هذا الموضوع خصص له باب في الأحاديث الإسلامية تحت عنوان «وجوب إجبار الوالي الناس على الحج» فإذا أراد المسلمون تعطيل الحج في عام من الأعوام، فعلى الحكومات الإسلامية أن ترسلهم بالقوة إلى مكة<sup>(٤)</sup>.

### خاتمة

أيتها الأخوة علينا أن نلتزم بالعبادات ظاهرياً وباطنيّاً، ندرك معانيها المعنوية، إذ كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من حاج ليس له من حجه إلا المشقة الجسدية والمالية فيعود من الحج كما ذهب إليه، فلا يستفيد روحياً أو أخلاقياً أو ثقافياً أو اقتصادياً أو سياسياً، ولا يزداد معرفة بنبيه محمد صلى الله عليه وآله بل قد يعود من حجه وهولاً يذكر نبي الله الاقليلاً وإذا ذكره لساناً لم يذكره عملاً وأخلاقاً وسلوكاً.

عن عبد الرحمان بن كثير: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام، فلما صرنا في بعض الطريق صعد على جبل فأشرف فنظر إلى الناس فقال: «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج»<sup>(٥)</sup>.

(٤) تفسير العياشي، حسبما جاء في تفسير الميزان، المجلد الثاني، ص ٨٦. وكما يبدو فإن هذا العمل لا إشكال فيه، بل فيه ثواب وأجر.

(٥) وسائل الشريعة، ج ٨، ص ١٤.

(٦) نهج البلاغة، الوصية ٤٧.

(٧) انظر: وسائل الشريعة، ج ٨، ص ١٥.

(٨) البحار: ٢٧ / ١٨١ / ٣٠.

والقوميات. لهذا ذكرت الأحاديث الإسلامية أن من فوائد الحج نشر أخبار آثار رسول الله صلى الله عليه وآله في أنحاء العالم الإسلامي. يقول «هشام بن الحكم» أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام المخلصين نقلاً عن هذا الإمام العظيم عليه السلام أنه قال حول فلسفة الحج والطواف حول الكعبة: «إن الله خلق الخلق... وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصالحهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب، وليتعارفوا ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد...، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى»<sup>(٦)</sup>. ولهذا السبب كان المسلمون يجدون في الحج فرحة للإنقاء بأئمة الهدى عليهم السلام في المدينة المنورة ومكة المكرمة، ويكبار علماء المسلمين، لينهلوا من مناهل القرآن النقية والسنة النبوية الشريفة. ومن جهة ثانية يمكن أن يكون الحج مؤتمراً ثقافياً إسلامياً يحضره مفكرو العالم الإسلامي في أيام الحج في مكة المكرمة، ليتحاوروا فيما بينهم ويعرضوا نظرياتهم وأفكارهم على الآخرين.

وما أجمل ما قاله الإمام الصادق عليه السلام في ختام الحديث السابق: «ولو كان كل قوم إنما يتكلمون على بلادهم وما فيها هلكوا، وخربت البلاد، وسقطت الجلب والأرباح، وعميت الأخبار»<sup>(٧)</sup>.

### ٤ - البعد الاقتصادي للحج

فإن مؤتمر الحج العظيم يمكن أن يستفاد منه في تقوية أسس الاقتصاد في البلدان الإسلامية، حيث إن التعارف بين الناس من أهم أسباب نجاح التعامل الاقتصادي. ولذا أشار الإمام الصادق عليه السلام في الحديث السابق إلى هذا الموضوع بصراحة. وجاء

في حديث آخر للإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية (١٩٨) من سورة البقرة **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾**. قال عليه السلام: «فإذا أحل الرجل من إحرامه

الذي تسعى أيادي الجُناة لاقتلعه». إن مراسم الحج في الوقت الذي تستبطن أخلص وأعمق العبادات، هي أكثر الوسائل أثراً في التقدم نحو الأهداف السياسية الإسلامية. فجوهر العبادة التوجه إلى الله، وجوهر السياسة التوجه إلى خلق الله، وهذان الأمران إمتزجا في الحج بدرجة أصبحا كنسيج واحد.

إن الحج عامل مؤثر في وحدة صفوف المسلمين. والحج عامل مهم في مكافحة التعصب القومي والعنصري والمذهبي والتقوقع في حدود جغرافية. والحج وسيلة لتحطيم الرقابة التي تفرضها الأنظمة الظالمة، وتدمير هذه الأنظمة المتسلطة على رقاب الشعوب الإسلامية.

والحج وسيلة لنقل الأنباء السياسية للبلدان الإسلامية من نقطة إلى أخرى. وأخيراً الحج عامل مؤثر في تحطيم قيود العبودية والاستعمار وتحرير المسلمين. وعلى هذا الأساس قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في معرض حديثه عن فلسفة الفرائض والعبادات «الحج تقوية للدين»<sup>(٨)</sup>.

كما أن أحد السياسيين الأجانب المشهورين قال: «الويل للمسلمين إن لم يعرفوا معنى الحج، والويل لأعدائهم إذا أدرك المسلمون معنى الحج؛ واعتبرت الأحاديث الإسلامية الحج جهاداً للضعفاء، إذ يمكن للشيوخ والنساء الضعيفات المشاركة في الحج ليظهرن عظمة الأمة الإسلامية. وليدخلوا الرعب في قلوب أعداء الإسلام بمشاركتهن في صفوف المصلين المتراسة في دوائر تحيط ببيت الله الحرام. وهي توحده الله وتكبره».

### ٣ - البعد الثقافي للحج

يمكن أن يؤدي التقاء المسلمين أيام الحج دوراً فعالاً في التبادل الثقافي في المجتمع الإسلامي، إن اجتماع الحج العظيم يمثل بشكل حقيقي فئات المسلمين من أنحاء العالم، من شتى المجموعات والعناصر

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٢٥٢.

(٢) وسائل الشريعة، المجلد الثامن، الصفحة ٩.

(٣) وسائل الشريعة، المجلد الثامن، الصفحة ٩.

